الفن والدين في العصور الوسطى
(المسيحيَّ – الإسلاميَّ)

د. فيصل بشير محمد الخراز
قسم الفلسفة/ كليّة الآداب/ جامعة مصرتة
elkharrazfaisal@gmail.com

الملخص:

شهدت العصور الوسطى حالة من الرتابة والركود والتخلف في كافة مناحي الحياة، خاصة الفكرية منها، حتى إنها سميت بالعصور المظلمة، وهذا دون شك ألقى بظلاله على كافة الجوانب الفنية والجمالية في زمن تساوت فيه المعتقدات الدينية والروحية تحت سطوة رجال الدين الذين فرضوا تشددهم ومنعهم لكافة مظاهر التحضر، التي من شأنها تنوير العقول، ونشر العلم والثقافة الجمالية التي قد تهدد وتضعف سيطرتهم ونفوذهم على العباد.

وبالرغم من ذلك، فقد حدث نمو وتطور نتيجة الاحتكاك بالحضارات والشعوب المجاورة، كان من أهم مظاهرها التنوع الثقافي والجمالي الذي انعكس على الفنون الجميلة بكافة أشكالها وبنسب متفاوتة، وهذا ما يهدف إليه هذا البحث من خلال عرض أهم المظاهر الجمالية لدى الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية كنموذج، ومدى تأثر كل منهما بالفنون بمختلف أشكالها.

الكلمات المفتاحية: العصور المظلمة، المعتقدات الدينية، الأعمال الفنية، الفن والدين .

1– مقدمة:

تعتبر فنون العصور الوسطى متميزة ومهمة لأنها كانت تعبيراً روحياً ومرآة عاكسة للفكر السائد آنذاك، والذي يظهر من خلال تأثير وسطوة الجانب الديني والعقائدي على كافة مظاهر الحياة الحضارية وخاصة الفنية الجمالية منها، ولا نبالغ إذا ما قلنا كل ما اشتمل عليه الفن من رمزية وجمال ومثالية كان لا يخرج عن تعاليم الدين، بل تجده يهدف إلى خدمته وتحقيق أهدافه في زمن اتسم بسمو الواعز الديني والروحي على غيرها من قيم الحياة.

ومع ذلك لم يحظَ الفن بالقبول والرضا التام من قِبل رجال الدين، فقد واجه معارضة في العديد من أشكاله ومظاهره، تدرجت من النبذ والمنع، والتحريم الجزئي وحتى القطعي، مثل: فنون الفن، والموسيقى، والرسم والنحت، فيما ازدهرت فنون العمارة والزخرفة والخطابة والشعر وما إلى ذلك.

ولكن كما هو معروف، فما بعد الشدة إلا الفرج، فقد أسهمت عدة عوامل ومتغيرات في تطور ونمو الوعي الجمالي واتساع الثقافة العامة والفنية وحتى شمل كافة أشكال الفنون الجميلة، وهذا ما سوف نتناوله بشيء من التفصيل من خلال أهم حضارات العصور الوسطى، وهما الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية.

1–1 أهمية البحث:

يقوم هذا البحث على عرض أهم المظاهر الفنية والجمالية إبان العصور الوسطى، في زمن كان يتسم بالركود والتخلف فيما عُرف بالعصور المظلمة التي تسودها الأفكار الروحية والمعتقدات الخرافية، التي كان يروجها رجال الدين لإحكام سيطرتهم وبث نفوذهم على الرعية، وكانت عائقاً لأية مظاهر للتطور، وأية ثَقافات قد تنير العقول وتنشر الوعي، وخاصة الجوانب الجمالية والأعمال الفنية التي تتعرض مع المعتقدات الدينية، ممّا جعلهم ينبذونها ويمنعون تداولها بل وتحريمها في مواضع عدة.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث في التعرض للعلاقة الجدلية التي لازمت الفن والدين وتداولها الفقهاء والفلاسفة، وعلى مر العصور كانت ولازالت محل خلافات، ودون شك لازالت جديرة بالاهتمام والدراسة.

1-2 إشكالية البحث:

واجه الفن عبر العصور قبل أفلاطون وما بعده أرسطو وتوما الأكويني: وكانت وآخرين كثر، واجه مشكلة عدم الثبات في نسق واحد، مع تعدد الأفكار والقيم من يربط الفن بالأخلاق والدين، وتأرجح في الرؤى ما بين الفلاسفة ورجال الدين خاصة في العصور الوسطى التي اتسمت بالتخلف والتشدد الديني، وأُطلق عليها عصور الظلام.

ومن هنا تأتي إشكالية البحث وتناول هذا الخلاف خلال هذه الحقبة المظلمة في تاريخ أهم الحضارات الدينية.

1-3 أهداف البحث:

يهدف البحث إلى عرض أفكار الباحث وفقاً لحصيلة من دراسات سابقة من خلال رؤيته الخاصة وفلسفته التي يحاول التفرد بها، ولعل أهم ما جاء فيها كما يأتي:

- عرض المظاهر الجمالية والفنية في حقبة العصور الوسطى التي وصِفتْ بعصور الظلام.
- أهمية الفنون ودورها في نمو وتطور الحضارات.
- استعراض الجانب الإيجابي للفنون وتأثيرها وآثارها على مظاهر الحياة الثقافية وتطورها الحضاري.
- طرح العلاقة الجدلية القائمة ما بين الفن والدين، وعرض الآراء المتعارضة التي تحتل بعض المذاهب الدينية والفلسفية.
- إجراء مقارنة ما بين الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية في مجالات الفنون، واستعراض الانعكاسات الجمالية حسب عقائد كل منهما.

1-4 الدراسات السابقة:

لا يميل البحاث غالباً إلى الخوض في مثل هكذا دراسات جدلية والتي تتطرق إلى الجوانب الفنية وعلاقتها بالآراء الدينية، وذلك تجنباً للوقوع في النقد والاحتجاج من بعض أصحاب الآراء المتشددة، التي لا تقبل أية اجتهادات أو منشورات تخالف ما عرفوه من فتاوى ومذاهب يعتنقونها.

لذلك فإن هذا البحث المستجد قد يكون مثاراً للجدل أنه يخوض هذا اليم.

2- منهج البحث:

يرتبط منهج البحث بموضوع الدراسة، فقد اتبعت المنهج التحليل المقارن في محاولة لعرض فلسفي تاريخي؛ من شأنه تغطية كافة الجوانب المرجوة، وتحقيق الغاية المنشودة لموضوع البحث.

3- تمهيد:

بنهاية المرحلة اليونانية التي تميزت بالتطور والازدهار في مختلف الميادين خاصة الثقافية والفنية، فقد شهدت المرحلة اللاحقة لها حالة من الرتابة والجمود أدت إلى تأخر وركود في كافة المظاهر الفكرية والحضارية، وهذا ما دعا الكثيرين من المؤرخين إلى إطلاق وصف العصور المظلمة عن تلك الحقبة التاريخية الوسيطة، وإن كان هذا الوصف لا يتسم بالدقة عن تلك الفترة من القرن الرابع وحتى عصر النهضة، ذلك أن هذه الفترة شهدت نشاط وحركة واسعة في ميادين الفكر والعلم والأنشطة الثقافية والفنية وتحديداً عند العرب خلال الفترة الأولى من العصور الوسطى التي تبدأ من القرن الخامس وحتى القرن الحادي عشر (إبراهيم، 1986، ص238).

وانعكس هذا الازدهار الفكري على ظهور وتطور الوعي الجمالي الذي اتسمت به الحضارتين المسيحية والإسلامية، رغم ما صاحب ذلك من نزعات متشددة، وتحفظ نحو الدين، ومع ذلك قد ظهرت الروح الفنية العالية في شتى الميادين الفنية فقد خلّف المسيحيون والمسلمون ما يدلل على قوة مشاعرهم وحسهم الجمالي واهتمامهم البالغ بذلك من تلك الآثار والتحف والرسومات الدينية والكثير من مظاهر الإبداع في العمارة والأدب على السواء (عباس، 1996، ص90).

3-1 مرحلة الانتقال من الركود إلى النهضة:

The transition from stagnation to renaissance

استمرت وضعية العقل الغربي على حالها من الركود حتى مطلع القرن السابع عشر وهو ما عُرف بعصر النهضة حيث انطلق الفكر الأوروبي وخرج من قمقمه في إطار النهضة العامة منذ أواسط القرن الخامس عشر، وذلك بعد الاحتكاك والتأثر بالحضارات العربية الإسلامية إبان ازدهارها وتقدمها، حيث استفاد الغرب وأخذوا من مناهلها ونقلوا إلى حضاراتهم حسب ما هو معروف وما شهد به المؤرخون من مختلف أنواع العلوم والثقافة، كما

استفادوا من هجرات العلماء إليهم وخاصة علماء ومفكري بيزنطة بعد سقوطها (علي، 2005، ص149).

وأيضاً الفتوحات الإسلامية لبلاد الأندلس التي لازالت آثارها حتى اليوم شاهداً على روائع الفن والتراث الإسلامي، وبالتالي فإن الركود الذي اتسمت به العصور الوسطى كان خلال المرحلة الرومانية الذي انعكست آثاره السلبية على الجانب الفني والجمالي حيث ظهر الفن الأرستقراطي Aristocrat Art الذي يمجد القادة وانتصاراتهم ويمثل مظاهر القوة والعظمة، وكان أيضاً موجهاً للمتعة الخاصة للطبقات العليا ومعبراً عن المجون والإباحية، وبالتالي كان الفن عندهم بعيداً عن الدين وغير خاضع لأية قيود أخلاقية، وهذا ما جعله فناً سافراً يفتقد إلى التناسق وحب الجمال والكمال وينقصه الإبداع الذي كان السمة البارزة في الفن اليوناني الذي أحرز تقدماً ملحوظاً في ميادين العلم والفلسفة، وبالتالي هذا ما جعل الفن الروماني متأخراً عن ركب الفن اليوناني (أبو ريان، 1992، ص224).

وقد شمل هذا التأخر والركود كل مظاهر الثقافة والفن أيضاً. وظلت الحركة الفنية في إطار ما خلفه أفلاطون وأرسطو وما قدمه أفلوطين الذي أنشأ الإفلاطونية الجديدة في الإسكندرية وظلت رؤيته مرجعية يتناقلها الفلاسفة والمفكرين من بعده، حيث يرى بأن الواحد المطلق هو خير مطلق ولأنه كذلك فهو جميل، وهذا على غرار ما قال به أفلاطون من خلال فكرته عن الواحد المطلق في عالم المثل الأفلاطوني.

3-2 الفن والديانة المسيحية: Art and Christianity

مما لا شك فيه أن هناك علاقة وثيقة بين الفلسفة المسيحية والفن المسيحي وكذلك الديانة المسيحية، ومن المعروف أن الفلسفة المسيحية قامت لكي تكمل الإيمان عن طريق العقل أو تكمل العقل عن طريق الإيمان، فهي تحاول إلى جانب إيمانها بالمعتقدات أن تعبر تعبيرًا حقيقيًا عن هذه المعتقدات؛ ولذلك سيطر الشعور بالجلال على الفن المسيحي ويظهر ذلك في عمليات المبالغة كأن يلجأ الفنان إلى تضخيم أجزاء معينة من موضوعاته الفنية بقصد إبراز صفة العظمة والجلال" (بدوي، 1969، ص5-6).

وكما يقول الفيلسوف الفرنسي "إيتان سوريو" Etienne Souriau (1892-1979) بأن الفلسفة المسيحية قد انعكست بعقيدتها على الفن والقيم الجمالية،

فالحقيقة أن مسيحي العصور الوسطى لم يكونوا عند تشييد كاتدرائياتهم أكثر اهتمامًا من أناس ما قبل التاريخ اهتمامًا بالفن من أجل الفن، إنما كان اهتمامهم أن يعطوا لهذا المناخ العام من المشاعر والأحاسيس الجياشة التي يثيرها داخلهم ذلك الجهد الخلاق للتعبير الأجمل قدر المستطاع" (سوريو، 1982، ص118).

وقد رأى الفيلسوف الإنجليزي "هربرت ريد" Read Herbert (1893-1968م) أن الفن المسيحي قد وقع بين مذهبين وهما السوري والروماني. فالمسيحية الرومانية قد واصلت في البداية التزام التقليد تجنبت أي تمثيل للأشخاص القديسين في القرن الثاني، وقد عبر كليمانت الإسكندراني Clement Alexandrian (150-215م) وهو فيلسوف لاهوتي عبر عن رأيه الكامل عندما قال: كان محظورًا تمامًا علينا ممارسة الفن المضلل إذ يقول النبي "لا يجب صنع شبيه لأي شيء موجود في السماء أو على الأرض" (Read, 1936, p.58).

ولذلك اتجهت الفنون في القرنين الأولين إلى استعمال الفن الرمزي Art Symbol فاستعمل الفنان الرسوم الزيتية مثل تلك التي تختص باليمامة والسمكة والمرساة والقيثارة وصياد السمك والراعي، وبهذا ظهرت الوحدة الفنية في أشكال رمزية متعددة، وعن طريقه استطاعت المسيحية التعبير عن أفكارها ومعتقداتها عبر الفنون الرمزية لتحدث نوعًا من المشاركة الانفعالية بين معتنقي المسيحية" (Read, 1936, p.57-58).

ولكن الكنيسة الرومانية قد غيرت تدريجيًا سياستها، وحوالي القرن الخامس سمح برسم عيسى الناصري وبالطبع سمح أيضًا برسم تلاميذه الرسل والقدسيين، وإن كان بعض الطوائف مثل أتباع المذهب النسطوري Nestorianism تحديدا ظلوا غير مقتنعين" (ريد، 1975، ص88-89). وهم أتباع المذهب النسطوري Nestorianism الذي يخالف بقية المذاهب المسيحية في مسألة الإيمان بالمسيح أنهم يؤمنون به كجسد وروح ، وليس كما المعتقدات السائدة لدى النصرانية التقليدية بأن اليسوع المسيح هو ابن الله ويتكون من طبيعتين أو جوهرين وهما الجوهر الإلهي الكلم، وجوهر إنساني بشري وهو يسوع الجسد.

3-3 الجدل حول فن التماثيل : The controversy over statuary art

يرى " هربرت ريد " أن الجدل الذي قام حول التماثيل الدينية لم يكن قضية لاهوتية مجردة، رغم أن البيئة التي عايشها الإمبراطور " ليو" Emperor Leo (401-474م) حاكم الإمبراطورية البيزنطية التي استهلها بالإصلاح كانت تتخللها أفكار مناهضة للتماثيل الدينية، فجميع المعتقدات المتوارثة للأباطرة المسيحية، تتضمن ذلك في اللاهوت، فكانت الصلة وثيقة بين الكنيسة والدولة إلى درجة كان الإمبراطور بواسطة منصبه يغير الكنسية الرسمية، وبالتالي كانت هناك أسبابًا سياسية واجتماعية للجدال حول التماثيل الدينية، فكان الإمبراطور "ليو" يستخدم وجهة النظر الدينية لدعم مخططه السياسي من حيث تطهير ورفع المستوى الوضيع للمجتمع" (ريد، 1975، ص89-90).

كما أن بعض اللاهوتيين الرافضين للتماثيل الدينية استندوا في موقفهم على أن مثل هذه الفنون التمثيلية قد تؤدي إلى الوثنية التي تحاربها المسيحية، حيث يعتبر الرافضون للتماثيل الدينية الصور كرسم لروح الإنسان من العبودية المتغطرسة للإله إلى العبودية المنخفضة والمادية للمخلوق، إنهم يعتبرون الوثنية كموقف للعقل بحيث يقود المتدين ليستبدل الشيء المخلوق لأجل خالقه (ريد، 1975، ص90).

ولكن مع تطور العقلانية المسيحية فقد تطور هذا الموقف الرافض للتماثيل الدينية فها هو القديس "يوحنا" St. John Evangelist بأن الدفاع عن الصور كما جاء به القديس "يوحنا الدمشقي" هو دفاع محكم ومنطقي حيث اعتبر أن الصورة الفنية إن هي إلا رمز وسيط للتعليم، وأكد القديس يوحنا أيضًا على أن الصورة المقدسة مثل شخص الصليب واهب الحياة، ويجب فرض هذه الفنون في الكنائس والأماكن المقدسة حينئذ تعبر الكنائس عن الإيمان الصادق" (ريد، 1975، ص91).

وبهذا يجب على الفنان المسيحي رسم المسيح عليه السلام والسيدة العذراء وجميع القديسين الصالحين، لأنه كلما اعتاد الناس على رؤيتهم في صورة فنية كانوا أكثر استعدادًا لتذكر أسلافهم والحنين إليهم، ويجب على كل مسيحي تعظيم هذه الفنون وتقديسها حيث أن تكريم الصورة الفنية يتعداها إلى تكريم من تمثله هذه الصورة"(Read, 1936, p.61).

ويقرر فيلسوفنا أن التعارض لم يكن فقط بين النصرانية والفن ولكن كان أيضًا وخاصة

في جنوب أوربا بين معتقدين في الفن الأول خاضع للدين والآخر حر والاتجاه الحر يمثل النهضة الأوروبية وهي النزعة الدنيوية لفن أصبح حيويًا جدًا لدرجة أنه لم يعد يخضع لمراقبة دينية تمامًا كما هو الأمر في الفلسفة، وهي مرحلة تشير إلى تحرر بطيء للعقل من تصلب الفكر وسيطرة "مذهب الدوغمائية " Dogmatism الذي يدعو إلى التعصب والتزمت العقائدي، وكذلك الفن أصبح محررًا من المراقبة الأكليركية، فعالم الطبيعة برمته مفتوح للفنان وهناك بإمكانه أن يتحرك حرًا ويختار ويحمل ويرسم كل ما يريد" (ريد، 1975، ص95-96).

وفي النهاية يقف موقفًا وسطًا فهو لا يؤيد الحرية الكاملة والإباحة لأنها في النهاية ستكون ضد الفن وكذلك يعلن أنه لا يؤيد أيضًا الرقابة الدينية الصارمة على الفن فتراه يقول "غير أننا نستبعد قبول الافتراض الشائع والقائل بأن الفن هو خادم الدين والقول حتى بأنه متكل على الدين لأجل معيشته وإن كان الدين في مظاهره التاريخية قد اعترض الفن بصورة قاطعة" (ريد، 1975، ص79).

ويمكننا ملاحظة أن "هربرت ريد" حاول جاهدًا البحث عن استقلالية الفن من خلال دراسته لعلاقة الفن بالأنماط الثقافية والحضارية والدينية التي يعيش الفن في أجوائها وهذا ما اتضح لنا من دراسته للفن وعلاقته بالدين والأساطير السحر في المجتمع البدائي ثم في الأديان السماوية، وهذا ما اتضح في دراسته للديانة المسيحية، وكل ذلك سعيًا وراء إثبات استقلال القيم الجمالية في فلسفة الفن، وهو يؤكد على ضرورة وجود الموهبة الفنية لدى الأفراد ويحثنا على ضرورة تنميتها وتربيتها عن طريق التجربة الجمالية.

وهذا ما جعله يهتم بالتربية وخاصة في نظم التعليم عن طريق الفن والقيم الجمالية، وكذلك ظهرت عنده كل القيم في ثوب جمالي، وغرس الجمال في أرض الأخلاق فظهرت السعادة عنده كقيمة جمالية، وأريد للسياسة أيضًا أن ترتدي لباس الجمال فظهرت الحرية كقيمة جمالية، وانتهى إلى ضرورة أن يكون الفن طريقًا للتربية فالتربية الحقيقية لابد أن تكون عن طريق الفن والقيم الجمالية.

ومما لا شك فيه أن فلسفة التربية هي محاولة صريحة لفهم ماهية الفن وأسسه الجمالية، وتطبيق لأهم مبادئ علم النفس وفلسفة الجمال محاولاً إثبات أن الجمال له ضرورة في

الطبيعة الإنسانية، فالفن هو نشاطٌ تلقائيٌ يظهر في نزعات الأطفال، وهو عنصر رئيس من مقومات الحضارة، واتخذ الفن وسيلة للتربية، فالتربية الحقيقية في نظره لا تتم إلا عن طريق تنمية الحس والنشاط الفني، وبذلك تعتمد جماليات التربية على تربية الحواس الإنسانية تربية جمالية وذلك عن طريق ممارسة الفنون، وتسعى التربية عن طريق الفن عنده إلى تنمية الذوق الجمالي لدى الأفراد، وتنمية شخصياتهم، وتنمية قدراتهم على نقل تجاربهم الفنية إلى الآخرين، ولقد حاول " هربرت ريد " الاستفادة من الفيلسوف الكبير افلاطون صاحب أول نظرية في الفن والمحاكاة والذي يعتبر الفن وسيلة للتربية ، كما ارتبط الفن عنده بالخبرة الإنسانية فرأى أن الخبرة الحية لا يمكن أن تكون خبرة شاملة إذا اختفى منها العامل الجمالي، والخبرة الجمالية تشكيل أساس كل خبرة، والمقصود من التربية الجمالية ليست معالجة الفنون وحدها ولكن كل صنوف المعرفة وحتى ما يقع تحت الحرف يخضع لإخضاع جوانبه الجمالية فترتفع بقيم الجمال التي تجعل من هذه التربية دعامة الحضارة المعاصرة، ويعلن أن الفن متضمن على أعمق وجه في واقع عملية الإدراك والفكر وحركات الجسم، وهو ليس مبدأً متحكمًا يبلغ من تحكمه القدرة على تطبيقه على الحياة، باعتباره وسيلة آلية "ميكانيكية" متحكمة لا يمكن تجاهلها ، ويعلن منذ البداية في هذه الإشكالية التي يعالجها وهي التربية عن طريق الفن، أنه بغير هذه الآلية تفقد الحضارة توازنها، ولا تلبث أن تتردى في مهاوي الفوضى الاجتماعية والروحية (ريد، 1966، ص23).

3-4 مظاهر تأثير الفن على الحضارة المسيحية:

The manifestations of the influence of Art on Christian civilization

إذا ما بحثنا في جذور الديانة المسيحية فإن تأثير ذلك المعتقد الأفلاطوني والعالم المثالي والمثل الأعلى نجده لازال عالقاً في الأذهان بل تأثر به وسار على خطاه كبار فلاسفة الفكر المسيحي والإسلامي أيضاً، وتداوله جل الفلاسفة على مر تاريخ الفكر الفلسفي.

وقد ظهر تأثير ذلك لدى القديس أوغسطين في الفكر المسيحي حيث كانت تسيطر أفكار أفلوطين والأفلاطونية الجديدة على غالبية الفلسفة المسيحية (خالد، 1988، ص31)، وقد اهتم بفلسفة الجمال وله مؤلف يحمل اسم "الموسيقى" تناول فيه الفن الروحي

حيث يطلق على مذهبه عالم الجمال الميتافيزيقي، فالجمال هو أحد الصفات السامية التي تقربنا إلى الله، وتقرب الفن عنده من الروح والوجدان معبراً عن تأملات الفكر المسيحي وصفائه الروحي (عبدالمنعم، 1996، ص49).

وأيضاً ظهر هذا المفهوم اللاهوتي للواقع والجمالية في الفن لدى مؤسس الفلسفة الكاثوليكية القديس "توما الأكويني" Aquinas Thomas (1225-1274م) وكان يرى أن الجمال يتطابق مع الفائدة ولكنهما يختلفان في وسائل التعبير ويقول أن المصدر الحقيقي للجمالية المطلقة عنده هو "الخالق الأعظم" الذي تصدر عنه كل ألوان الخير والجمال والمعرفة (خضر، 2004، ص268).

ولاشك أن الانتقال من الفن الروماني حسب نزعته الوثنية إلى الفن المسيحي يثير إحساساً بالتناقض، ففي روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية عاش الفن المسيحي والفن الوثني قرابة الثلاثة قرون متلازمين، ولم يكن يتوقع أن هذه العقيدة المتواضعة التي ظهرت في أرض فلسطين ثم امتدت إلى روما وانتشرت في المجتمع الروماني أن تغير وتخلع المعتقدات الرسمية لهذا المجتمع الكبير (الألفي، د.ت، ص133)، وتعود بالفن مرة ثانية إلى سابق عهده وتربطه بالدين وتوجهه إلى القيم والنزعة الإنسانية السامية وتجعله يدعو إلى الفضيلة ويحرض على التضحية والموت من أجل الدين والأمل في الحياة الأخروية الخالدة ومن خلال تمجيد الله وإعلاء كلمة المسيح ونصرته، وقد عبر عن ذلك الفنانون فيما رسموه من لوحات رائعة خلدها التاريخ مثل صورة صلب المسيح والعشاء الأخير، والقربان والخطيئة والملائكة.

وقد أسهمت الحركة المسيحية في تطور الفن الروماني في بناء الكنائس وأصبح فناً مسيحياً خالصاً يعرف بالفن القوطي ويرمز إلى معانٍ دينية، وبذلك تطور الفن الروماني واصطبغ بالمسيحية وتخلى عن الأرستقراطية وأصبح شعبياً في متناول سائر طبقات المجتمع، ومع ذلك لم يصل إلى درجة الديمقراطية كما هو الحال في الفن اليوناني، ذلك لأنه كان خاضعاً للعقائد الدينية وخادماً لها بينما الفن اليوناني كان فناً حراً ولذاته (أبو ريان، 1992، ص226).

كما أن المسيحية الرومانية التزمت في بدايتها بالتقاليد السامية وتجنبت تصوير المسيح والقديسين (ريد، 1975، ص89)، وأيضاً الأشخاص ولكن هذا الالتزام لم يصمد طويلاً فمع تطـــور المفاهيم الفكرية وتقدمها شيئاً فشيئاً تخلت عن تلك القيود وسمحت في البداية بالصور والرسومات الرمزية كصورة الجماعة والسمكة والصياد والراعي.

كما اقتبس الفنانون الذين استقدمهم الرومان من الشرق وبعد اعتناقهم للمسيحية من الفن الوثني صورة آلهة الحب المتوجه بالأزهار والطيور وأشجار العنب، وبالتدريج تراجعت الكنيسة الرومانية وتخلت عن تزمتها وغيرت سياساتها وأصبح رسم الأشخاص مباحاً بل تعدى ذلك، حيث سمحت برسم المسيح والرسل والقديسين والملائكة وهذا منذ حوالي القرن الخامس الميلادي (الألفي، د.ت، ص134).

وهذا التشدد في مظاهر الفن قد لا يدعو إلى الريبة خاصةً في التصوير وأعمال النحت والتماثيل، فقد لازم ذلك العديد من الأديان وواجه الرفض والكراهية مثل ما حدث مع الديانة اليهودية من قبل والإسلامية فيما بعد وظل هذا الأمر مشكلة الفن وجدلية لم تجد لها حلاً فاصلاً حتى تاريخنا المعاصر.

وبشكل عام يمكن أن نخلص إلى أن فكرة الفن والجمال اتخذت مسارات مختلفة بداية لارتباطها بالفلسفة المثالية اليونانية ثم إلى الصرامة العسكرية عند الرومان ومن ثم إلى المثالية البيزنطية الدينية في العصر الوسيط وهي حضارة غلب عليها الطابع اللاهوتي، وهذا ما جعل لحضارات العصر الوسيط أسلوب ديني خالص سيطر على كافة المظاهر الفنية، فأنكروا الجمال الحسي والمجسمات واعتبروا أن الجسم البشري مصدراً للخطيئة والشرور واتجهوا إلى جماليات القيم الإنسانية كالروح والعقل والعلم والمعرفة الإلهية وهي بذلك أقرب إلى سمات ومظاهر الفن الإسلامية (عبدالمنعم، 1996، ص49).

3-5 الفن والحضارة الإسلامية: Art and Islamic civilization

شهدت هذه المرحلة التي ازدهرت فيها الحضارة العربية والإسلامية تقدماً ملحوظاً فقد أُعيد تقييم الفلسفة اليونانية ودراستها وترجمة أهم مصادرها وتطوير وعقلنة المفاهيم والمعتقدات الخيالية والتي كان يغلب عليها الطابع الأسطوري والخرافي.

وقد برز من بين أولئك العلماء والمفكرين المسلمين عددٌ كبير من الفلاسفة الذي ذاع صيتهم آنذاك وأسهموا في تطوير وإثراء تاريخ الفلسفة بشروحهم وإضافاتهم وكانت لهم آرائهم الخاصة في ميادين فلسفة الجمال أمثال الغزالي وابن رشد الذي قام بتفسير فكر أرسطو وما قدمه من شروح ومقارنات أشتهر بها بين آراء أرسطو والشعر العربي (خالد، 1988، ص31-33). كما أن للكندي وابن سينا وإخوان الصفا كتابات مطولة في القواعد والنظريات الموسيقية.

ويعتبر كتاب الفارابي في الموسيقى أشهر ما كتب في العصور الوسطى في مجال النظريات الموسيقية ويضاهي أي كتاب ورد إلينا من المصادر اليونانية (حجازي، 1999، ص110).

وهذا ما يرجح أن الفن الإسلامي الذي انتشر في الأقاليم العربية ما هو إلا إضافة وتطويراً أو صبغة جديدة للفنون السابقة لظهور الإسلام في هذه المناطق، وقد أضفى عليه الإسلام واتسم بتعاليمه حتى وإن ظهرت بعض الاختلافات الشكلية الظاهرة فإن الجوهر والمحتوى متجانس ومتقارب (علي، 2005، ص167).

فقد كان إقبال المسلمين إبان ازدهار حضاراتهم الإسلامية على الفنون بمختلف أشكالها وشغفوا بها، وهذا ما عبرت عنه كتب السيرة والأدب والتاريخ من خلال سردها واهتمامها بالفنون من شعر وغناء ورقص.

وكان النظر إلى هذه الفنون من ناحية استثارتها للحواس فحسب، أي أن تقويم الجمال كان يستند إلى التناسب الظاهري المحكم في جميع مجالات الفنون التي تعارف عليها المسلمون.

وكان فن الشعر يحتل الصدارة من حيث الأهمية والإتقان وكانت الأحكام الجمالية تبحث عن المضمون وهذا ما يدل على تمكنهم ويؤكد نظرتهم الفنية الفائقة التي تتجاوز الإدراك الحسي وتتجه إلى جمال المضمون والمعنى (أبو ريان، 1992، ص19). وهذا ما عرف بمشكلة الشكل والمضمون التي أضحت من أهم المحاور التي تناولها الفلاسفة واختلفت آرائهم حولها في تقييم أهمية العمل الفني من حيث الشكل والمضمون، فقد رجح فريق منهم تلك الأهمية إلى الشكل دوناً عن المضمون في حين اتجه الفريق الثاني إلى العكس من ذلك

واعتبروا أن أهمية العمل الفني إنما تكمن في مضمونه وما يحمله من معنى وليس شكله الخارجي، وخرج فريق ثالث قال بأهمية الإثنين معاً على السواء، ولعل الفيلسوف الألماني جورج هيجل Hegel Gorge (1770-1831م) كان من أبرز الدعاة إلى هذا النهج ومن أصحاب نظرية الشكل والمضمون في الاعمال الفنية، ومع ذلك فقد أستمرت هذه المعضلة تتقدمها الآراء بين مؤيد ومعارض حتى تاريخنا المعاصر.

3-6 الفنون ما بين التحريم والاباحة:

Arts between prohibition and permission

الفن وكما جرت به المقادير وتقلباته الفتاوي اعتاد حظه العاثر عند كل انطلاقة جديدة له ، أن واجه مع بدايات ظهور الإسلام نقد ومعارضة شديدة ذهبت إلى حد المنع والتحريم في أغلب مظاهره، وهذا رآه البعض سبباً في تعطيل الإحساس بالجمال عند المسلمين تجاه موضوعات الفنون في الكثير من الأقاليم الإسلامية.

وقد ظهر صراحةً هذا التحريم في صناعة الأشكال المجسمة كالتماثيل وأعمال النحت للكائنات الحية، وفي بعض الأحيان الرسومات والصور البشرية بل طال هذا المنع والتحريم الكثير من صنوف الفنون المختلفة كالموسيقى والرقص والغناء (حجازي، 1999، ص20).

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا التحريم لم يمنع المسلمين قديماً من إظهار براعتهم في فن النحت وصناعة التماثيل والأعمدة المنقوشة بالرسومات، وبرع المسلمون في فن الزخارف التي كان أكثر اعتمادها على الخط المنحني الذي يمثل معنى الحنان والانعطاف، كما أن الزخرفة الإسلامية تمثل في عمومها فكرة اللامتناهي، كما بلغت فنون النحت والتصوير ذروتها إبان الحضارة الإسلامية في الأندلس، وقد جلبوا الصورة والتماثيل من البلاد الأخرى واقتبسوا من النقوش التي لاحظوها في الكنائس المسيحية في إسبانيا وصقلية (أيمن، 1962، ص32).

فقد أسهمت الفتوحات الإسلامية في تغلغل تلك الثقافات، ومنحتهم فرصة المشاهدة والإعجاب بالبنيان وكذلك الفنون العمرانية، ونقلوا منها إلى مبانيهم وتحسينها وتطوير بناء المساجد وزخرفتها، إذ برزت مظاهر النقل والاقتباس لدى المسلمين من العمائر المتميزة في بيزنطة ومصر والشام وفارس والهند (حجازي، 1999، ص163).

ولعل هذا ما دعا بعض المشككين في الغرب الادعاء بأن الحضارة الإسلامية لم تأتِ بجديد، وإنما اعتمدت على النقل والتقليد من الحضارات التي قبلها ولكن الوقائع أثبتت غير

ذلك، فقد طور العرب المسلمون وأضافوا الكثير إلى تلك الحضارات التي دخلوا عليها وفي شتى المجالات وليس العمرانية أو الحضرية فحسب بل شملت النواحي الثقافية والعلمية كعلوم الفلك والرياضيات والطب وغيرها، ونقل وتتلمذ أبناء الغرب على يد العلماء المسلمين، وهذا ما كان له الفضل في صحوة الغرب، وأسهم في ظهور ما يسمى بعصر النهضة في أوروبا.

3-7 اختلاف آراء الفقهاء في تقييم الفنون:

Differing of opinions of jurist in evaluating Arts

وعلى الرغم من التقدم والتطور الذي أحرزه المسلمين ومظاهر الازدهار الحضاري الذي صاحب ذلك خاصةً في المجالات الفنية وبعد الاحتكاك بتلك الحضارات الغربية المفتوحة حيث وجد الفن طريقه وانطلق بحرية تامة إلى أقصى درجاته في الانفتاح والإباحية، وقد أثر ذلك في كسر الجمود وتخطي حواجز المنع والتخفيف من لهجة التشدد والحدية ضد الفن ومع ذلك ظل المنع والتحريم القطعي ملازماً لبعض الفنون وجعله في موضع الاتهام ومثاراً للخلاف بين الفقهاء ورجال الدين حتى يومنا هذا. وقد يتفق كل الفرقاء على حرمة تلك الفنون الإباحية والسافرة كالتماثيل والصور الخلاعية أو تلك الأغاني الماجنة أو الموسيقى الصاخبة التي تثير الغرائز أو تلك الأشعار التي تمجد الوجهاء من علية القوم وهي بذلك أقرب إلى خصال النفاق من نظم الشعر.

ولكن ما يدعو إلى التساؤل والجدل هو خلاف هؤلاء الأئمة وعلماء المسلمين على ما يمكن أن يوصف بالفن الملتزم أو الفن الهادف الذي يقدم رسالة أو يخدم فكرة ما. أي ذلك الفن المحافظ البعيد عن الانحلال والخالي من المشاهد والأغراض الإباحية السافرة، فقد حرمت طائفة عريضة منهم كافة أعمال النحت والتماثيل وآخرون حرموا الصور والرسومات أو المجسمات البشرية وحتى الحيوانية منها، وإن كانت لا تظهر شيئاً من عوراتها أو تبين ما يخدش الحياء منها.

لقد شاعت فكرة تحريم وتصوير الكائنات الحية في كثير من الكتب والمؤلفات والخطب استناداً إلى بعض الأحاديث التي فسرت على أن تصوير الكائنات الحية محرم، ونذكر منها هذا الحديث: إن السيدة عائشة – رضي الله عنها– كانت تصنع في بيتها ستراً عليه تصاوير، فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "أميطي عنه فإنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي".

وبالتالي يمكن أن نفهم من ذلك أن كراهية الرسول – صلى الله عليه وسلم- للتصاوير إنما ترجع إلى ما قد تثيره التصاوير من انشغال عن الفكر والعبادة (مطر، 1994، ص132)، أو من جانب أخر هناك من يرى أن الاهتمام والانشغال بهذا العالم الحسي الفاني الذي لا طائل من وراءه على نحو ما تقول الآية الكريمة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد، الآية 19]، ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت، الآية 64]. وقد وصف كثير من الفقهاء والفلاسفة أن الفن ما هو إلا نوع من اللهو واللعب، وهذا الوصف أو التعريف للفن جاء حتى من خارج الأوساط الإسلامية، إذ أن الشاعر والفيلسوف الألماني "فريدريك شيلر" Fredrich Schiller (1759-1805) عرّف الجمال في الفن بأنه اللعب واللهو معتبراً أن الطبيعة البشرية إنما تتحقق على أكمل وجه في لحظات اللعب لا في لحظات العمل وهو تعبير عن الحرية، والحرية هي اللعب وبالتالي فإن الفن هو اللعب الحر (عبدالحفيظ، 2004، ص6).

وبين هذا وذاك فقد استقر رأي كثير من المفسرين والعلماء على أن تحريم تصوير الكائنات الحية وصناعة التماثيل وأعمال النحت الذي أشيع مع بدايات ظهور الإسلام والتبشير بالدعوة، إنما يرجع إلى الخوف من حدوث انتكاسة للبعض من المؤمنين الذين دخلوا الإسلام ،وعودتهم إلى الاعتقاد بالأوثان وعبادتها، وهذا ما دعى الأئمة إلى تحريمها ومحاربتها، وأيضاً منع تلك الأعمال الفنية التي تدعوا إلى تعظيم الأفراد وتخليدهم وفي ذلك نوع من شرك بالذات الإلهية (علي، 2005، ص169).

أما تلك الأعمال الفنية الجمالية التي تصنع بقصد الزينة والمتعة البعيدة عن الإسراف والإسفاف وتكون في الحدود المعقولة والمعتدلة، فذلك ما اتفق عليه أغلب الفقهاء والعلماء كونها لا تخرج عن حدود الشرع، وتحافظ على القيود الاجتماعية والأخلاقية عملاً بنص الآيات الكريمة ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص، الآية 77]. وهذا ما يشير إلى حكمة التوازن والوسطية والإخلال بهما هو عين الفساد.

وقد ربط المعتزلة الأخلاق بالجمال والعقل وبالشرع معاً فما حسن في نظر العقل يكون حسناً في نظر الشرع فالعقل هو أساس القيمة الأخلاقية والجمالية.

وكان من أكثر المؤلفين تحليلاً لموضوع الجمال هو الإمام أبو حامد الغزالي الذي ربط سائر أنواع الجمال بالجمال الإلهي وهذا على غرار ما فسره أفلاطون من قبله ويرى الغزالي أن الجمالات الجزئية سواءً كانت عقلية أم حسية إنما تشارك في الجمال الإلهي وترتبط به لأنه أثر من آثاره (أبو ريان، 1992، ص23).

وقد بين أن حُب الجمال وتعلق القلب والوجود بكل ما هو جميل واللذة التي يتحصل عليها المرء عندما يتلقى المتعة تلك التي تصدر عن الجمال الإلهي والتي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال نظرة صوفية خالصة ،ويقول الغزالي في مؤلفه إحياء علوم الدين "واعلم أن كل جمال محبوب عند ذاك الجمال، والله تعالى جميل يحب الجمال".

وقد ميز بين الجمال الذي تدركه العين وذاك الجمال الذي يتصف بالجلال والعظمة أي جمال القيم الحميدة والصفات الحسنة والمكانة العالية والأخلاق الرفيعة والذي يدرك بحاسة القلب والوجدان (الغزالي، 1986، ص280).

وفي موضع آخر يؤكد أن الجمال يطلب لذاته وليس لمنفعة من وراءه ولتحقيق متعة ولذة جمالية لذاتها فهو يقول كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة وهذه اللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها (الغزالي، 1986، ص298)، وهذا اتجاه آخر في الفن أصبح محل خلاف وتشعبت فيه آراء الفلاسفة، هل الفن لتحقيق لذة أو منفعة أم تحقيق أغراض أخلاقية أو سياسية أم أنه فوق ذلك ويكون لذاته أي أن الفن للفن كما نادى به الشاعر الروائي الفرنسي توفيل جويتيه (1811-1872) (عبدالحفيظ، 2004، ص6). وتبعه في ذلك الفيلسوف الايطالي "بنديتو كروتشه".

ولعل أكثر من عبر عن وجهة النظر الإسلامية السائدة هو ابن خلدون الذي يرى في الاعتدال السمة السائدة بين العرب المسلمين وهذا راجع إلى طبيعتهم ويتوافق مع البيئة والمناخ الذي انعكس على الناس واثر في طباعهم وجعلهم أكثر اعتدالاً في كافة أنماطهم الخلقية والأخلاقية والاجتماعية وكذلك الدينية فهم شعوب مخصوصة بالاعتدال وهذا بدوره انعكس على الجوانب الفنية والإبداعية (خالد، 1988، ص119).

وهذا الاعتدال المتوازن قديم منذ الأزل، فهو يذكرنا بما قاله ديمقريطيس إن الجمال هو المتوازن والمعتدل في مقابل الإفراط والتفريط وإخضاع الجمال للأخلاق (عبدالحميد، 2001، ص14).

ولازالت هذه الرؤية المعتدلة تلازم الأعمال الفنية الملتزمة بالاعتـدال حتى عصرنا هذا، فكثير من الأئمة والخطباء يلجئون إلى ضرب الأمثال وذكر أبيات من الشعر في خطبهم ومواعظهم للتوضيح والاستدلال بها وأخذ العبر وتزكية وتحسين الأسلوب الخطابي كما عرف عن الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي، أنه كان ملهماً ويقرض الشعر في بدايات حياته وظل يحب الشعر والأمثال ويذكرها في جل أحاديثه ودروسه الدينية.

وأيضاً فإن الداعية الإسلامي د. سلمان بن فهد العودة، من أنصار الوسطية والاعتدال والمتتبع لحواراته ودروسه الدينية يرى أنه يؤكد أن الفن جزء من طبيعة الإنسان التي فطره الله عليها بشرط الاعتدال وعدم الإفراط ويقول أن الصوت الحسن يشبه اللحن الحسن دون الإفراط إلى درجة الهوس والإسفاف والمجون، فالإسلام هو دين الاعتدال في كل شيء.

ومما لا شك فيه فإن فنون الإسلام تأثرت بجوهر العقيدة الإسلامية التي وجهها القرآن الكريم والسنة والإيمان المطلق بالله الواحد الخالق المبدع المصور.

وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام يبيح تلاوة القرآن الكريم بالصوت الجميل، إذ قال: "زينوا القرآن بأصواتكم". ويروى أنه استمع إلى أبي موسى الأشعري وهو يتلوا القرآن الكريم بصوت حسن وقد جاء على شيء من التطريب فقال عليه السلام: "لقد أوتي مزماراً من مزامير آل داوود". كما قال في استحسان الصوت الجميل "ما بعث نبيئاً إلا حسن صوته" (حجازي، 1999، ص104).

وأيضاً روي عن السيدة عائشة – رضي الله عنها – "كان أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – يتناشدون عنده الأشعار وهو يبتسم"، وقد قال عليه السلام: "إن من الشعر لحكمة فإذا التبس عليكم شيء من القرآن فالتمسوه في الشعر فإنه عربي" (حجازي، 1999، ص123).

وإذا ما انتهينا إلى كتاب الله فإن القرآن الكريم لم يغفل عن ذكر الجمال فهو لم يترك كبيرةً ولا صغيرة إلا وأحصاها، فالجمال صفة من صفات المولى عزل وجل، وقد فصلت الآيات الكريمة الجمال في معانيه الصحيحة, وعلى الإنسان أن يبحث في تلك المعاني. قال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات، الآية 6]. وقال أيضاً: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف، الآية 7].

فلم يخلق الله الإنسان عبثاً بل حمله أمانة وعليه أن يشق طريقه في هذه الحياة القصيرة وله أن يختار بين النجدين الخير أو الشر، الهداية أو الضلالة وبين هذا وذاك تجد مندوبات ومحظورات وهذا فيه ابتلاءٌ كبير. فمن غفل عن ذكر ربه واتّبع هواه وأخذته الحياة الدنيا فقد خسر رهانه وفشل امتحانه.

والجمال وجد في هذه الحياة شأنه كمثل تلك القيم التي يجب على الإنسان أن يتعامل معها ويرى نصيبه منها وبقدر، فنجد فيه الجانب الروحي والمادي وهذه طبيعة الحياة الدنيا وطبيعة الإنسان ذاته وقد خلق الإنسان ليتعايش ويعمل بين هذين الجانبين، فلا يجب أن يسلك الاتجاه الروحي ويكون بذلك كالملائكة ولا أن يتبع الاتجاه المادي فيكون شبيهاً بالدابة تنساق وراء غرائزها، فالبشر هم أمة وسط، وهذه رسالتهم في الحياة الدنيا.

4- الخاتمة وأهم النتائج:

من خلال ما تم عرضه عن المظاهر الجمالية أثناء العصور الوسطى والأفكار التي تم طرحها من خلال آراء وتوصيفات الفلاسفة المهتمين برصد تلك الحقبة، يمكن أن نخلص إلى الآتي:

- سيطرة المعتقدات الدينية والأفكار الروحية والخرافات على كافة مظاهر الحياة آنذاك.
- تلاقح الحضارات وتداخلها في الكثير من المظاهر الجمالية من البناء والعمارة وأسلوب المعيشة والعادات والتقاليد.
- سطوة رجال الدين وتسلط أفكارهم على الرعية خاصة في الجوانب الثقافية والفكرية والفنية.
- اختلاف الفقهاء في تصنيف الأعمال الفنية وتحديد علاقتها بالنواحي الدينية من حيث المنع والتحريم والإباحة.

- تميز وتطور الفنون لدى الحضارة المسيحية وتقدمها عن الحضارة الإسلامية بسبب التشدد والمعتقد الديني.
- الإسلام دين الوسطية، وهذا ما ساد الجوانب الفنية والجمالية تحت مسمى الفنون الملتزمة، فما هو هادف ومفيد ولا يخدش الحياء لا بأس به، وطالما كان فنا ملتزما بالنواهي الدينية ولا يخرج عن النواحي الأخلاقية.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.
- إبراهيم، فتحي (1986)، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس.
- أبو ريان، محمد علي (1992)، فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، ط8، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- الألفي، أبو صالح (د.ت): الموجز في تاريخ الفن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة – القاهرة.
- أيمن، أحمد (1962)، ظهر الإسلام، ط1، مكتبة النهضة المصرية.
- بدوي، عبد الرحمن (1969)، فلسفة العصور الوسطى، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- حجازي، محمد عبدالواحد (1999)، فلسفة الفنون في الإسلام، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
- خالد، عبدالكريم هلال (1988)، الاغتراب في الفن، ط1، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي.
- خضر، سناء (2004)، مبادئ فلسفة الفن، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

- ريد، هربرت (1966)، التربية عن طريق الفن، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ريد، هربرت (1975)، الفن والمجتمع، ترجمة: فارس متري الظاهر، دار القلم، بيروت.
- سوريو، إتيان (1982)، الجمالية عبر العصور، ترجمة ميشال عاصي، ط2، منشورات عويدات، بيروت.
- عباس، راوية عبدالمنعم (1996)، فلسفة الفن وتاريخ الوعي الجمالي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- عبدالحميد، شاكر (2001)، التفضيل الجمالي، مطابع الوطن العربي، الكويت.
- عبدالمنعم، راوية (1996)، الفن والحضارة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- علي، حسين (2005)، فلسفة الفن رؤية جديدة، ط1، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- الغزالي، أبو حامد (1986)، إحياء علوم الدين، الجزء الثاني، ط1، بيروت.
- مطر، أميرة حلمي (1994): مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، دار المعارف، القاهرة.
- Read H. (1936), Art and Society, Faber and Faber, London.